كان بين رفيق الحلبي وشفيق الشرتوني صداقة انتقلت اليهما بالارث من صداقة عائلية كانت تربط بين عائلتيهما . لم يستغرب شفيق احاديث رفيق عن الاحوال العامة اذ ان هذه الاحوال العامة كانت موضوع معالجة لديه ولكن على الطريقة الشيوعية .

ترك شفيق المدرسة والتحق بوظيفة في احدى دوائر القضاء في قصر العدل، انما وظيفته لم تكن لتمنعه من الاستمرار بالاتصال برفيق الذي اصبح طالباً جامعياً . في ذات يوم وهما يسيران في شارع جان دارك لاحظ شفيق ان رفيق يحيي شخصا يمشي على الرصيف المقابل . كان هذا الشخص الملتحي معروفاً من شفيق وان معرفة سطحية . هو استاذ في الكلية يتهامسون عن ذكائه وعن غرابة اطواره .

سأل شفيق رفيقا عن هذه العلاقة بينهما ففاجأه رفيق بأنه سيعرفه عليه وان لهذا التعرف قيمته . وهكذا كان . تم التعارف وبدأت الاحاديث . بدأت من مستوى كان يعتبره شفيق عالياً جداً حسب معرفته الشيوعية السابقة ولكن سرعان ما اكتشف ان مستوى هذا الاستاذ أعلى بكثير مما كان يظن وانه امام انسان غير عادي . . . تعلق به فما عاد يمضي يوم ولا يلتقيان، عند بناية المرصد حتى تطورت هذه اللقاءات الى الصعود ذات مساء الى غرفة في منزل فؤاد حداد وهناك، على ضوء شمعة ادى قسم الانتماء الى الحزب السري بوجود فؤاد حداد ورفيق الحلبي . اصبح منذ ذلك اليوم رفيقاً مواوماً، لا يكاد ينتهي من عمله في وظيفته حتى يكون قد حضر الى حيث « الاستاذ » اما في « الكوخ » او على طريق المنارة .

شفيق الشرتوني

حول انكشاف الحزب

الاعتقال - التحقيق - المحاكمة - الحزب خارج السجن

استمرت المحاكمة أربعة أيام استجوب خلالها معاونو سعاده ورفقاؤه، وفي 28-1-1936 صدر الحكم بسجن الزعيم مدة 6 أشهر مع غرامة 25 ليرة جزاء نقدياً، وسجن كل من نعمة ثابت، عبد الله قبرصي، زكي نقاش، وأسعد الايوبي شهراً واحداً مع تأجيل التنفيذ، وبجزاء نقدي على كل منهم قدره 25 ليرة.

وبسجن كل من جورج حداد، جورج حكيم، فؤاد مفرج، مأمون أياس، فكتور أسعد، روبير أبيلا، صلاح لبكي، عمر لبّان، منح راسي، فؤاد خوري، جورج صليبي، محمد نقاش، سامي قربان، محمود حافظ، عفيف فاخوري، اسبوعين مع تأجيل التنفيذ.

وبتبرئة كل من: عادل عيتاني، سميح علم الدين، جميل صوايا، يوسف الدبس، شفيق الشرتوني، عادل ماهر، جان جلخ، رفيق الايوبي ونجيب الفيكاني.

الرفيق رفيق يوسف الحلبي

أول مدير لمديرية الطلبة وأول رفيق غادر إلى غانا

الأمين لبيب ناصيف

من رفقاء الرعيل الأول، الذين ساهموا في تأسيس الحزب في المناطق، يبرز اسم الرفيق رفيق الحلبي من بين الأوائل، ليس فقط من ناحية تاريخ الانتماء، وهو قد أدى القسم على يد سعاده عام 1934 [1]، إنما على صعيد كونه أول مدير لمديرية الطلبة في بيروت، وأول رفيق غادر إلى شاطئ الذهب (غانا) ليكون مؤسس العمل الحزبي فيها، ولتصبح لاحقاً من أهم فروع الحزب عبر الحدود، وقد برز فيها الأمناء أسد الأشقر، أمين الأشقر، نسيب عازار، إبراهيم دانيال، ومئات الرفقاء الذين تعاقبوا على السفر إليها والاستقرار في مدنها ومناطقها، وفيها تأسس ناديان قوميان اجتماعيان، في كل من أكرا وكوماسي.

وإلى جانب كونه أول مدير لمديرية الطلبة وأول رفيق غادر إلى شاطئ الذهب، فإن الرفيق رفيق الحلبي كان وراء تأسيس الحزب في بلدته بشامون، التي تولى مسؤولية مدير مديريتها الرفيق خطار أبو إبراهيم (الشاعر، الأمين لاحقاً) وكانت تضم رفقاء من عين عنوب، سرحمول وغيرهما من القرى المجاورة، إلى أن انتشرت العقيدة القومية الاجتماعية في منطقة الغرب الساحلي، لتغدو بفضل رفقاء آخرين، من معاقل الحزب في لبنان. نذكر منهم على سبيل المثال الأمناء محمد أمين أبو حسن، حسن ريدان، محمد القاضي، محمد العريضي، كامل حسان، فؤاد صعب، عادل شجاع، نجيب طعان صعب، والرفقاء حبيب حرب، توفيق وشفيق نور الدين، حسن ويوسف قائد بيه، سليم خوري، وعجاج أبو شكر الذين نأمل أن نتمكن ذات يوم من الحديث المستفيض عنهم ونشرح عن نضالاتهم وعن أفعالهم في سبيل القضية التي كانت بالفعل حياة لهم.

❖ ❖ ❖

ولد الرفيق رفيق يوسف الحلبي [2] في بشامون عام 1914. بعد أن تخرّج من مدرسة سوق الغرب عام 1932 حائزاً على الشهادة الثانوية High school تابع دراسته في المدرسة العلمانية الفرنسية (اللاييك) وعام 1934 التحق بالجامعة الأميركية ليمضي فيها سنتين ثم يغادرها عام 1936 إلى شاطئ الذهب.

أثناء دراسته في الجامعة الأميركية تعرّف الطالب رفيق الحلبي على سعاده، ودارت بينهما مناقشات في موضوع العروبة إذ كان الطالب رفيق متأثراً بالموجة العربية، إلى أن أقنعه سعاده بالعروبة الواقعية التي تأخذ بها العقيدة السورية القومية الاجتماعية، موضحاً له غاية الحزب التي فيها السعي لإنشاء جبهة عربية.

بعد انتمائه، راح الرفيق رفيق ينشط بين أترابه وزملائه فكان أن انتمى صديقه - وصديق العائلة - الرفيق شفيق شرتوني [3] الذي بدوره عمل بمساعدة الرفيق رفيق، على انتماء الرفيقين نجيب حلاوي ومحمد الباشا، ولاحقاً شهد الرفيق الحلبي على انتماء الرفيق مأمون أياس.

أول مدير لمديرية للطلبة

كان لا بد وقد تكاثر عدد الرفقاء الطلبة، أن ينشئ سعاده مديرية لهم. تمّ ذلك عام 1934 وأسندت المسؤولية إلى الرفيق رفيق الحلبي.

جدير بالذكر أن الرفقاء الذين انتموا في تلك المرحلة الأولى من تأسيس الحزب كانوا من مناطق مختلفة من سورية، وهذا مما ساعد، عند توجههم صيفاً إلى قراهم، أو بعد تخرجهم، أن ينقلوا الدعوة القومية الاجتماعية إلى أقرانهم وأصدقائهم. من هؤلاء الرفقاء الطلبة نذكر على سبيل المثال: كابي ديب من القدس، رضا رعد من عين زحلتا، زيوار العظم من دمشق، فؤاد الغريب من كفرمتى، الياس ديب من صافيتا، ظافر مكاري من آنفة، رفيق الأيوبي من عفصديق، الياس حبوش من مشغرة.

لم يتوقف نشاط الرفيق الحلبي على المستوى الطالبي، إذ يشير الأمين جبران جريج في الجزء الأول من كتابه «من الجعبة» (ص227) إن اثنين لعبا دوراً بارزاً في المنطقة المؤلفة من الشويفات، بشامون، عين عنوب هما رفيق الحلبي وشارل سعد [4] ثم يورد أسماء من الرفقاء الأوائل فيها: حسن قائدبيه، حسن ريدان، كامل ريدان (عين عنوب)، نجيب طعان صعب، طنوس نصر (الشويفات)، خطار أبو إبراهيم، عارف حسان، فؤاد الحلبي، نسيم أبو ضاهر، اميل أبو ضاهر وفؤاد عازار (بشامون).

بدوره يفيد الرفيق أمين سعيد نور الدين من سرحمول في مرويات له أن انتماءه إلى الحزب تمّ على يد الرفيق رفيق الحلبي، كما كثيرون غيره من الرفقاء الأوائل في بشامون والقرى المحيطة.

سفره إلى شاطئ الذهب (غانا)

في العام 1936 غادر الرفيق رفيق الحلبي إلى شاطئ الذهب [5] واستقرّ في مدينة كوماسي، فعين الزعيم طالب الطب الرفيق جورج الصليبي مديراً لمديرية الطلبة في بيروت التي كان يتولاها الرفيق الحلبي.

في كوماسي عمل الرفيق الحلبي على إنشاء مديرية فيها، وأخرى - لاحقاً - في أكرا، بعد ذلك تأسست أول منفذية للحزب في غانا، مركزها كوماسي وتألفت من الرفقاء رفيق الحلبي، نسيب عازار، أمين الأشقر، شاهين شاهين وإبراهيم دانيال [6].

أوائل العام 1940، بعد أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، ازدادت الوشايات من بعض

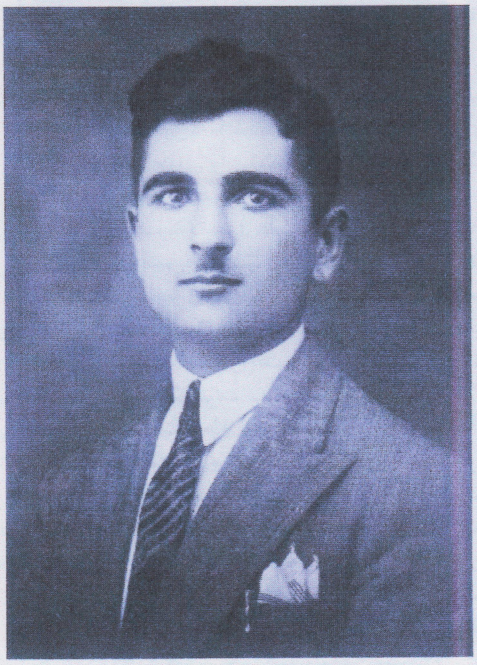

الرفيق رفيق الحلبي 1947

الرفيق رفيق الحلبي 1933/10/16

الاجتماعيتين. ولم أكن قد وقفت عليها واهتممت لها إلا مؤخراً حين ابتدأت الحكومة اللبنانية تتراجع تحت ضغط قوة الحزب. والآن ستصبح هذه المسألة موضوع نظر وبحث مجلس العمد. إذ سأطلب من الرفيق صايغ تعيين موقفه من العقيدة القومية الاجتماعية.

«أحب أن أعلم ما كان فحوى محاضرات الرفيق صايغ وهل ذكرت التعاليم القومية الاجتماعية أم اقتصرت على تعبيرات الرفيق صايغ عن الفرد والمجتمع من المدرسة الفكرية الشخصية الغريبة عن المدرسة القومية الاجتماعية الموضوعة تعاليمها في كراس المبادئ المشروحة وفي «نشوء الأمم» وفي خطب الزعيم ومحاضراته وأحاديثه.

إذا رأيت أن ترسل إليّ تقريراً مفصلاً في هذا الصدد أديت خدمة أخرى لسلامة العقيدة والقضية القومية الاجتماعية»

دمت للحق. أقبل سلامي. لتحي سورية.»

وفاته

توفي الرفيق رفيق الحلبي بتاريخ 15 حزيران 1949، أي قبل ما يقارب الثلاثة أسابيع من استشهاد سعاده. فور وصول نبأ الاستشهاد، عقد اجتماع لجميع القوميين الاجتماعيين في منزل المنفذ العام الرفيق إبراهيم دانيال (منح لاحقاً رتبة الأمانة) في كوماسي وقرروا فيه متابعة نشاطهم الحزبي، وتبع ذلك اتصالات مع الفروع في المغتربات من أجل متابعة المسيرة الحزبية. فسعاده وقد استشهد، كان يعلم أن رفقاءه سيتابعون المسيرة، وأنهم باقون، ومستمرون في حمل مشعل النهضة، فمن وعى الحقيقة وأدرك حقيقة أمته لن يعود إلى الوراء، ولن تغيب عن أعماقه المبادئ التي بها آمن، واعتنق.

من رسائل سعادة إلى الرفيق رفيق الحلبي

إلى الرفيق المجاهد رفيق الحلبي

أيها الرفيق العزيز

تسلمت أول أمس كتابك الأخير المؤرخ في 12 أغسطس الماضي وأنا أهم بالكتابة اليك فشكرت التقادير التي أوصلت إلى كتابك في الوقت المناسب.

كنت قبل ذلك بمدة قد تسلمت نسخة كتابك إلى حضرة رئيس المجلس الأعلى الموقر، الأمين الجزيل الاحترام نعمة ثابت (صادرة رقم 25 - 5 - 46) ونسخة مرفقة بها لكتابك المؤرخ في 8 يوليو 1946، الموجه إلى حضرة الرفيق رئيس مكتب عبر الحدود.

أطلعتني هذه الوثائق على ناحية القضايا الشخصية - الإدارية في منفذية أفريقية الغربية وكيفية معالجتها من قبل رئاسة مكتب عبر الحدود وساحتفظ بها للاستفادة منها حين النظر في إعادة تنظيم أو توسيع تنظيم مكتب عبر الحدود وأعماله وفي حالة كل فرع من الفروع التابعة له، بعيد عودتي التي أصبحت قريبة.

أهم ما يعوزنا هو المال وقد آن لنا أن نهتم بهذه الناحية العملية. وكل مال يجمع ويرسل إلى الحكومات الرجعية في الوطن تستعمله هذه الحكومات لمحاولة خنق الحركة القومية الاجتماعية فكأننا نعطي سلاحنا لأعدائنا - أمامنا مشاريع هامة يمكن اثارتها لحشد القوة المالية، تنظيم الدفاع عن الاسكندرون، تنظيم الدفاع عن فلسطين، مد المدارس القومية الروحية في أنحاد الوطن».

1 ايلول 1946

❖ ❖ ❖

أيها الرفيق العزيز

قدمت سان باولو، البرازيل، بجواز سفر أفرنسي موقت، لأرى هل أتمكن من نوال جواز سفر لبناني من الممثلين اللبنانيين في هذه البلاد ولأكسب وقتاً بزيارة الفرع القومي الاجتماعي هنا قبل وصول سفير لبنان إلى الأرجنتين، الاستاذ جبران التويني، حتى إذا لم يمكن تحصيل الجواز اللبناني بطريقة من الطرق أكون قضيت الأعمال الضرورية التي يترتب عليها نشاط العمل القومي الاجتماعي ومتانة تنظيم الفرع هنا وتحريك النزالة السورية كلها بفعل التعاليم القومية الاجتماعية. كان الممثلون اللبنانيون يمانعون كلهم في أعطائي جواز سفر لبناني مختلفين اعذاراً متعددة ومقترحين مخابرة وزارة الخارجية بواسطة السفير في ريو ديجانيرو الاستاذ يوسف السودا، الذي أظهر تعصباً شديداً وعداوة صرحية لعودة الزعيم إلى الوطن. ولكن الحركة القومية الاجتماعية قد تمكنت، بدقة نظامها وحيوية أعضاء منفذية سان باولو وسرعة تنفيذهم الأوامر، من تذليل جميع المعاكسات واجتياز جميع الصعوبات والعراقيل في هذا السبيل.

9 شباط 1947

هوامش

(1) يفيدنا شقيقه الرفيق أنيس الحلبي أنه في صيف العامين 1934 و 1935 كان يتردد إلى الرفيق رفيق في بشامون «قادمين من شملان مشياً على الأقدام، الرفقاء نعمة ثابت، مامون أياس، جبران جريج، محمد القاضي وغيرهم من الرفقاء».

(2) كان والده الشيخ يوسف الحلبي من وجهاء بلدة بشامون والمنطقة. انصرف إلى أملاكه الكثيرة بعد أن كان اغترب إلى أفريقيا.

(3) من بلدة شرتون، توظف في دوائر قصر العدل، وكان ثاني رفيق يفقد وظيفته إثر انكشاف أمر الحزب. الأول هو معاون مفوض الشرطة في بيروت الرفيق أسعد الأيوبي. كانت هنالك صداقة عائلية قديمة تعود إلى أواسط العشرينات من القرن الماضي، تجمع عائلتي الشيخ يوسف أسعد الحلبي، والد الرفيق رفيق، والشيخ حبيب صالح الشرتوني، والد الرفيق شفيق.

(4) صاحب المدرسة المعروفة باسمه في الشويفات، تولى مسؤولية منفذ عام بيروت في أوائل العام 1935، طرد من الحزب.

(5) كانت مستعمرة بريطانية، وبقي اسمها «شاطئ الذهب» حتى العام 1947، ثم تحولت إلى «غانا».

(6) - نسيب عازار: من عينطورة، منح رتبة الأمانة، شهيد مجزرة عينطورة. عرف بـ «قديس الحزب».

- شاهين شاهين: من المحيدثة، بكفيا، توفي العام 1957.

- أمين صليبي الأشقر: من ديك المحدي، تولى مسؤولية منفذ عام غانا، منح رتبة الأمانة عام 1961.

- إبراهيم دانيال: من بيت مري، تولى بدوره مسؤولية منفذ عام غانا. منح رتبة الأمانة أواسط الخمسينات من القرن الماضي.

(7) عرف عن الرفيق رفيق الحلبي ذكاؤه الخارق، شجاعته، وكان محبوباً ومحترماً، من جميع الذين تعرّفوا إليه.